من وحي كليلة ودمنة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر



١٥

اعداد : راجي عنايت

رسوم : بهجت عثمان

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

من وحي كليلة ودمنة

الفأر الحكيم

ماشاء الله

١٥

اعداد : راجي عنايت
رسوم : بهجت عثمان

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

من وَحي كليلة ودمنة

١٥

الفأر الحكيم

اعداد: راجي عنايت
رسوم: بهجت عثمان
مسح ضوئي واعداد : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م



الطبعة الاولى
١٩٧٨

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر
بناية صمدي وصالحة - ص.ب: ١١/٥٤٦٠
بناية برج شهاب - تلة الخياط - ص.ب: ١٩٥١١٩
برقياً: موكيالي - بيروت


الفأر الحكيم



سأل الفأر الصغير أمه « متى أخرج من هذا الجحر وأشاهد الغابة الواسعة ؟ » .قالت الأم وهي مشغولة باعداد الطعام للأسرة « عندما يعود والدك من الغابة .. ». عاد الفأر الصغير ليسأل مرة أخرى « ومتى يعود أبي من الغابة ؟».نظرت إليه أمه وعلى فمها ابتسامة ثم قالت « لن تطول غيبته .. سيجلب لنا بعض الطعام ثم يعود فورا. صمت الفأر الصغير قليلا ، وحاول أن يعود الى ألعابه ، لكن ما لبث أن عاد إلى أمه وهو يتكلم متأثراً ، يكاد أن يبكي ، وقال « ولكن أبي قد وعدني بأن يأخذني اليوم ، لأرى الغابة لأول مرة ! .. إلى متى أظل محبوساً في هذا البيت ؟... » .

توقفت الأم عن عملها ، وأخذت تتطلع إلى إبنها الصغير في حب . لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تستمع فيها إلى شكوى ابنها ، ورغبته

الشديدة في ان يرى العالم خارج بيتهم الضيق . كانت تعلم ان زوجها قد وعد صغيرهما بالخروج معه ، بعد أن يعود من رحلته اليومية التي يجوب فيها الغابة بحثاً عن طعام له ولأسرته . ومنذ ان سمع الفأر الصغير هذا الخبر المفرح ، لم يعد يطيق ان يبقى ساكناً في البيت ، او ينصرف الى الغابه التي تعود ان يتسلى بها .

قالت الأم وهي تداعب ابنها الصغير بيدها « أعرف أنك متشوق لمشاهدة الغابة ، لكنك صغير السن ، ليست لديك فكرة عن الحيوانات التي تعيش في الغابة .. لهذا اراد أبوك أن يأخذك معه اليوم في جولة قصيرة حول البيت ، ويعرفك على سكان هذه الغابة وعلى طباعهم ... وسيظل يصحبك في هذه الجولات حتى تعرف كل شيء .. وتتعلم كيف تحمي نفسك من الأخطار الكثيرة التي ستواجهها في الغابة .... بعد ذلك سيصبح بامكانك أن تخرج بمفردك .. وأن تتصرف معتمدا على ما سمعته من نصائح أبيك » .

صمت الفأر الصغير مفكراً ، ثم قال لأمه « أعلم أنني ضايقتك اليوم بأسئلتي الكثيرة .. ولكني منذ أن سمعت هذا الخبر من أبي ، وأنا في غاية الشوق للخروج إلى الغابة ، حتى أرى كل الأشياء التي تصفينها لي كل يوم ، قبل أن أنام » . ابتسمت الأم ، وعادت فربتت على ظهر صغيرها ، الذي رفع رأسه اليها وقال في حماس « أريد يا أمي أن أتعلم

الخروج الى الغابة ، حتى أساعد أبي في جمع الطعام ، وأشعر انني أشارك في مسئولية البيت .. لقد كبرت الآن ، ومن واجبي أن أصنع شيئا لأسرتي ... » .

ضحكت الأم وقد أسعدتها كلمات الفأر الصغير ، وسرها أنه وهو في هذه السن ، يفكر في حمل المسؤولية ، والمشاركة في العمل . فقالت له « سيحدث هذا قريبا .. المهم الآن أن تساعدني في اعداد الطعام حتى يعود أبوك من الخارج فيجد طعامه معداً ... أنت تعلم كيف يعود من رحلته متعباً منهوكاً » .

اقتنع الفأر الصغير بكلمات أمه ، فتوقف عن أسئلته ، وراح يساعدها في اخراج الطعام من المخزن العميق داخل الجحر ، بل وراح ينظف المكان الذي ستتناول فيه الأسرة طعامها ، ويزينه .



بعد أن تناول الأب طعامه ، واستراح قليلا ، نظر ناحية ابنه ، فوجده يجلس في مكانه صامتاً ، وأحس أن الصغير يبذل جهداً كبيراً في صمته هذا ، حتى لا تندفع أسئلته رغماً عنه من فمه .

تبادل الأب النظرات مع الأم ، ثم تحرك وهو يقول لابنه « هيا بنا يا بني .. لقد حان موعد رحلتك الأولى الى الغابة » . انتفض الفأر الصغير ، وفي قفزة سريعة كان يقف عند باب الجحر ، فاستوقفه الأب وهو يقول « اهدأ يا بني ولا تتعجل ... نحن لا نخرج إلى حديقة هادئة .. بل سنخرج إلى الغابة بكل ما فيها من حيوانات ووحوش .. لذلك يجب أن تبقى الى جانبي دائماً ، ولا تبتعد عني ، حتى أشرح لك كل شيء ، وأعود بك سليماً إلى بيتنا » .

ما إن خرج الفأر الصغير من الجحر ، حتى وقف في مكانه جامداً ، منبهراً بالعالم الغريب الذي يراه لأول مرة .. الأشجار الضخمة التي تشابكت أغصانها ، وارتفعت عالياً في السماء ، الزهور الجميلة المنثورة على الأرض بألوانها المختلفة ، الحمراء والصفراء والبيضاء . ثم أخذ يستمع إلى الأصوات التي كان قد استمع الى بعض منها من داخل الجحر خافتة هادئة ، وقف يستمع اليها الآن واضحة عالية لأول مرة ، فتبين فيها صياح حيوانات ضخمة ، وزقزقة عصافير لاعبة ، وصفير حيوان لا يعرف ما هو .

نظر الأب إليه مبتسماً ، وسأله « لماذا وقفت عندك .. هل أنت خائف أن تمضي معي لنرى جانبا من الغابة وحيواناتها ؟ » . أفاق الفأر الصغير من تأملاته ، ورفع نظره إلى ابيه وهو يقول بحماس « أبدأ ..

أبداً .. أنا معك لا أخاف .. ولكني لم أكن أتصور أن الغابة ستكون على هذا القدر من الجمال واللطف .. انني في غاية الشوق لرؤية باقي أنحاء الغابة » . وقبل أن ينتهي من كلماته كان قد أسرع يسبق أبيه ويتطلع هنا وهناك . لحقه أبوه ، ووقف يعترض طريقه وهو يقول بحزم « أهذا ما اتفقنا عليه ؟.. ألم نتفق على أن تلازمني ولا تبتعد عني ؟.. إلى أين تمضي هكذا ؟ » .

قال الفأر الصغير وهو يشير « كنت أريد أن ألقي نظرة على ذلك الحيوان الجميل .. ذلك الحيوان الأحمر الذي يميل لونه إلى السواد .. انظر يا أبي إلى الفراء اللامع الناعم الذي يكسو جسمه » . نظر الأب الى حيث أشار ، ثم أسرع يجذبه ويختفي معه خلف جذع شجرة ، وهو يصيح فيه غاضبا « يا مجنون !.. هذا الذي تشير اليه ، واحد من أعداء الفأر .. إذا وضع يده عليك التهمك في لحظات .. لا يغرك جماله ، فوراء هذا الجمال يكمن الخطر الشديد » .

استجاب الفأر الصغير لنصيحة أبيه ، واختبأ معه خلف الشجرة وهو يسأل « وما اسم هذا الحيوان يا أبي ؟ » ، أجاب « إنه السمور .. واحد من أعداء الفأر يجب أن تأخذ حذرك منه » . وبعد أن انصرف السمور .. تحرك الأب ومن خلفه ابنه يتطلعان في حذر حولهما . وفجأة انفلت الفأر الصغير وعاد يختبىء خلف جذع الشجرة . تعجب الأب ،



ونظر حوله باحثاً عن الذي أخاف ابنه ، فلم يجد شيئاً ، فاقترب من ابنه يسأله « لماذا هربت ؟ » . قال الفأر الصغير وقلبه يدق خوفا « ألا ترى ذلك الحيوان الذي يغطي جسمه الفراء ويتقدم ناحيتنا . » ، نظر الأب الى حيث أشار ثم أطلق ضحكة عالية وهو يقول « أتخاف من هذا الأرنب ؟ ! إنه حيوان وديع مسالم ، يأكل الحشائش ، ولا يؤذي الفئران » .

اطمأن الفأر الصغير وتقدم مع أبيه يتطلع الى الحيوانات التي تسعى في الغابة بأشكالها المختلفة ، وفجأة توقف الأب وأشار الى حيوان يقف بعيداً بين الأعشاب ، وقال « هل ترى هذا الحيوان ؟ » . ونظر الفأر الصغير حيث أشار الأب وقال « إنه فأر كبير .. لابد انـه أحـد أجدادي .. » ، فضحك الأب وقال « بل هو ألد أعدائنا وأخطرهم .. إنه ابن عرس .. أنت على حق في أنه يشبه الفأر ، ولكن .. ألا ترى استطالة جسمه الشديد .. » .

قال الفأر الصغير حزيناً « كل هؤلاء أعداء لنا .. » ، فقال الأب « وكذلك الثعبان الذي يزحف هناك ، ولا تكاد تتبينه ، إذ له نفس ألوان الأرض والعشب » ، وتوقف الأب ونظر إلى ابنه قائلا « وكذلك أحذر القط هذا الذي يقف هناك متربصاً » . تضاعف حزن الفأر الصغير وقال لأبيه

« ولماذا نعيش في الغابة وسط هؤلاء الأعداء ؟.. لماذا لا نبحث لنفسنا عن مكان آخر نأنس فيه للاصدقاء ؟ » قال الأب متنهداً « هذه هي الحياة يا بني .. زاخرة بالأعداء والأصدقاء والحكيم هو الذي يعرف كيف يفرق بينهم ، كيف يتخلص من شر اعدائه ، بالقوة اذا استطاع ، وبالحيلة إذا لم تسعفه القوة » .

سار الفأر الصغير خلف أبيه صامتاً ، وقد تبددت بهجته الأولى عندما رأى الغابة لأول مرة ، ثم سأل أبيه « وأين هم الاصدقاء الذين تحكي عنهم ؟ . » **أجاب الأب** « أبناء جنسنا من الفئران .. ثم ذلك الأرنب الذي خفت منه وهربت .. » ، وتطلع إلى أعلى الشجرة مشيراً إلى حيوان صغير له ذيل طويل ، يقضم إحدى الثمار « وهذا القندس اللطيف .. وغيرهم .. وغيرهم .. المهم ألا تتعجل يا بني ، وأن تكون حذراً .. يوماً بعد يوم .. سأدلك على كل شيء .. وسترى أن لنا في هذه الغابة الكثير من الأصدقاء » .



تمر الأيام ، وتتعدد زيارات الفأر الصغير للغابة مع أبيه . وتمر الشهور ، فيكبر الفأر الصغير ، ويصبح فأراً قوياً ذكياً .. يخرج إلى

الغابة بمفرده ، ويجلب الطعام لأبيه ولأمه ، وكانا قد تقدم بهما العمر .

وعندما يموت الأب ، ثم تموت الأم بعده بشهور ، يحزن عليهما الفأر الذكي الحكيم حزناً شديداً ، ويظل ملازماً جحره عدة أيام متوالية ، لايريد أن يخرج منه أو أن يرى شيئاً من الغابة الواسعة . ولكن تمر الأيام ، وينفد ما عنده من طعام مخزون ، فيضطر إلى الخروج بحثاً عن الطعام .

في كل مرة كان يخرج فيها بحثاً عن الطعام ، كان يأخذ حذره الشديد من ذلك السمور الذي كان قد اتخذ له بيتاً عند جذ ع الشجرة القريبة إلى جحره . كان الفأر الحكيم يخرج رأسه من الجحر ، يتطلع يميناً ويساراً حتى اذا ما تأكد من اختفاء السمور ، مضى مسرعاً يجمع طعامه ، ثم يعود إلى جحره قبل أن يدركه السمور ، أو يدركه ابن عرس الذي يسكن قريباً من جحره .

وفي جولة من جولات الفأر الحكيم ، التقى بفأر آخر ، ففرح بذلك فرحاً كبيراً ، ودعا الفأر الصديق إلى جحره يتبادلان الحديث . سأله الفأر الصديق « ولماذا داخل الجحر ؟..-دعنا نبقى هنا ، نستمتع بمنظر الغابة » ، قال الفأر الحكيم « بل أسرع إلى الجحر .. قبل أن ينتبه لنا أحد الأعداء » .

وعندما وصلا إلى الجحر ، قدم الفأر الحكيم الى صديقه بعض



الطعام ، وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث . وسأل الفأر الحكيم « وأين تقيم أيها الصديق ؟.. فأنا لم أرك من قبل في الغابة » ، أجاب « أقيم بالقرية القريبة مع أهلي .. واليوم انتهزت فرصة انشغالهم ، وجئت إلى الغابة أستمتع بمنظرها الجميل » ، ضحك الفأر الحكيم وقال ساخراً « هو جميل حقاً .. ولكنه مليء بالمخاطر .. أحمد الله أنك لم تقع فريسة لواحد من الحيوانات التي يلذ لها التهام الفأر » .

سأله الفأر الصديق « لماذا إذاً تعيش في الغابة ، لماذا لا تأتي لتعيش معي في القرية ؟. » ، أجاب « أبقى هنا لأنني أحب الغابة ، وقد علمني أبي كيف أتقي الأعداء ، وأستمتع بصحبة الأصدقاء .. ثم لا تنسى الأخطار التي نواجهها بالقرى ، وحكي لي أبي عنها ، القطط .! والفخاخ التي يضعها الفلاحون لاصطيادنا ! » . قال الفأر الصديق « ولكن رأيت بعض الصيادين في الغابة يحملون شباكهم أيضا » ، قال الفأر الحكيم ضاحكاً « نعم أعلم ذلك ، وأراهم كثيراً .. لكنهم لا يصطادون الفئران ، بل يسعون إلى حيوانات أخرى يكسبون من بيعها أو من بيع فرائها مالا كثيراً » .

بعد أن انتهت زيارة الفأر الصديق ، خرجا معاً ، وما لبثا أن رأيا صيادا يقبل من بعيد حاملا شباكه ، فاضطرب الفأر الصديق ، وجرى مبتعداً ، والفأر الحكيم يضحك وهو يصيح « ألم أقل لك ألا تخاف من



صيادي الغابة .. » . لكن الفأر الصديق كان قد اختفى عن الأبصار..



عاد الفأر الحكيم إلى جحره ، وهو يرى الصياد ينصب شباكه قريباً من جذع الشجرة التي يسكن عندها السمور .

كان السمور في ذلك الوقت داخل جحره يقول لنفسه « ذلك الفأر اللعين المخادع .. متى أستطيع أن اصطاده واستمتع بلحمه ؟.. إنه شديد الحذر ، لكنني اليوم سأتربص به وهو خارج من جحره ، وأهجم عليه ، لا أعطيه فرصة للفرار » .

بهذا الحماس يخرج السمور من جحره مندفعاً ، فتشتبك أقدامه بحبال الشبكة التي وضعها الصياد ، وكلما حاول أن يتخلص منها ، زادت التفافاً حوله . في النهاية أصابه التعب والانهاك ، وارتمى حزيناً داخل الشبكة ، وهو يقول لنفسه بأسف « كنت أعتزم اليوم أن اصطاد الفأر ، وها أنا قد وقعت في شباك الصياد ، ما أن يمر بعض الوقت حتى يقبل ، ويأخذني معه حيث تكون نهايتي » .

وأقبل ابن عرس من بعيد ، يقول لنفسه « لولا وجود ذلك السمور



القوي عند جحر الفأر لكنت قد التهمته من زمن بعيد .. هذا السمور لا هو يصطاد الفأر ، ولا هو يسمح لي باصطياده » ، وما إن اقترب ابن عرس ورأى السمور داخل الشبكة ، حتى فرح فرحاً عظيماً وهو يقول « ها أنا قد تخلصت أخيراً من منافسي ، ولا بد أن يقع الفأر اليوم بين مخالبي » .

وفوق غصن بأعلى الشجرة ، وقفت البومة تنظف ريشها بمنقارها الحاد ، وتتابع ما يجري في الغابة . رأت السمور وهو يقع في شباك الصياد ، ورأت ابن عرس وهو يختفي بين الأعشاب متربصاً بالفأر ، وقالت لنفسها « دعهم يدبرون أمورهم تحتي ، ولا يعلمون إنني سأكون أسرعهم في اصطياد الفأر ، وخطفه من بين أيديهم » .



عندما أخرج الفأر الحكيم رأسه من جحره ، أحس برائحة الخطر ، فخرج في حذر ، ينظر إلى الموضع الذي اعتاد السمور أن ينتظر عنده ، فلم يجد السمور في مكانه . ونظر الناحية الأخرى فلم ير ابن عرس الذي كان قد أحسن الاختفاء داخل الأعشاب ، وتشجع فتقدم عدة خطوات إلى الأمام .



فجأة ، اهتزت الأعشاب ، وظهر ابن عرس ، ورفرفت البومة بجناحيها تهم بالانقضاض ، وأسرع ابن عرس يقطع على الفأر طريق العودة . انطلق الفأر مبتعداً هارباً من ابن عرس ، فاصطدم بالسمور الذي كان سجيناً داخل شبكته ، فقال لنفسه « ليس أمامي الا أن احتمي بهذا السمور ، أخيف به ابن عرس ، وهو في نفس الوقت لن ينال مني » ، وفكر الفأر سريعا ثم اقترب من السمور وقال له « كيف حالك أيها السمور ؟ » ، قال السمور مكتئبا « كما تحب وتشتهي .. في أسوأ حال ! » ، فقال الفأر « وأنا شريكك اليوم في البلاء .. ابن عرس يتربص بي هناك ، والبومة تترقب فوق الشجرة .. إذا أنت أعطيتني كلمة الأمان ، وتعهدت بعدم الاضرار بي ، قرضت حبال الشبكة بأسناني الحادة ، وانقذتك من الصياد ، وهكذا يكون خلاصك من خلاصي » .

فرح السمور بكلمات الفأر وتحمس لها فقال « أنا لن أعطيك كلمة الأمان فقط ، بل أتعهد لك بأن أحميك من هذه الحيوانات التي تسعى إلى افتراسك .. واعلم أنني سأكون لك خير صديق ، إذا أسرعت بتقطيع حبال شبكتي » .

بدأ الفأر يقرض الحبال بأسنانه ، وأستطاع السمور أن يخلص ساقه ، فحركها سعيدا . وما إن حدث ذلك حتى خاف ابن عرس ، وظن أن السمور سيخرج من الشبكة ، فمضى هارباً . أما البومة ، فقد رفرفت

بجناحيها وطارت بعيداً ، وهي تقول لنفسها « لقد تبددت أحلامي .. ولن أحظى اليوم بهذا الفأر ، فلأبحث لي عن فريسة أخرى » .

توقف الفأر عن قرض الحبال ، وهو يشعر بالسعادة لخلاصه من ابن عرس والبومة ، فسمع صوت السمور يقول « ما لي أراك أيها الصديق قد توقفت عن قطع حبال الشبكة ؟... هل هذا هو ما اتفقنا عليه ؟.. أم انك قد رجعت عن اتفاقنا بعد أن رأيت انصراف ابن عرس والبومة .. هل هذه هي الصداقة التي اتفقنا عليها ؟ » .

التفت إليه الفأر وقال « لا .. لم أفكر في نقض اتفاقي معك .. ولكن كنت أستريح بعض الشيء .. » ، وعاد الفأر الى قرض حبال الشبكة بحماس ونشاط وهو يقول لنفسه « أما وقد تخلصت من ابن عرس والبومة ، فلا بد أن آخذ حذري من هذا السمور ، فربما إذا ما خلصته من حبال الشبكة جميعا ، انقض علي وافترسني » .

وأخذ الفأر الحكيم يفكر وهو يقرض الحبال ، ثم قال لنفسه فرحا « هذا هو الحل السليم .. سأقرض حبال الشبكة جميعا وأبقي منها حبلا واحداً يقيد حركة السمور ، حتى إذا رأيت الصياد قادماً ، قرضت الحبل الأخير بسرعة ، حتى يفلت السمور هارباً ، ولا تكون أمامه فرصة لافتراسي .. هكذا أكون قد وفيت بكلمتي مع السمور ، وفي نفس الوقت لا أكون قد انخدعت بكلمات الصداقة المعسولة التي يرددها » .

فرح السمور بحبال الشبكة المقطوعة من حوله ، ولكنه لم يستطع الخروج من الشبكة ، وقد بقي الحبل الأخير يعوقه ، فقال للفأر « هيا أكمل عملك ايها الصديق .. ما لي أراك قد تكاسلت ، لم يبق سوى حبل واحد » . قال الفأر « لقد تعبت وآلمتني أسناني .. انتظر حتى أستريح قليلا ثم أعاود عملي » ، فقال السمور قلقا « ولكن أخشى أن يقبل الصياد فلا تجد فرصة لقطع الحبل » .

وبينما السمور يقول هذا ، لمح الفأر الصياد يقبل من بعيد ، فأسرع يقرض الحبل الأخير بهمة وحماس ، وهو يقول للسمور « الصياد يقبل ناحيتنا ، وبمجرد أن انتهي من قرض الحبل ، أسرع بالفرار قبل أن يدركك ، هل تسمعني ؟.. » . فقال السمور « أسمعك !.. أسمعك !.. ولكن اسرع ، فانني أرى الصياد يقترب منا ! » .

عندما وصل الصياد الى موضع الشبكة ، كان الفأر الحكيم قد انتهى من قرض الحبل الأخير ، وكان السمور قد أسرع بالفرار صاعداً على جذع الشجرة الكبيرة ، مختفيا بين أغصانها . أما الفأر فقد اتجه إلى جحره ، يخرج رأسه من الجحر بحذر .

أخذ الصياد يتطلع الى شبكته الخالية ، وقد تقطعت حبالها ، يشعر





بالحزن والعجب . .كيف استطاع السمور أن يقرض حبال هذه الشبكة؟ . . أمر عجيب !. . والفأر في مكانه يضحك من حركات الصياد التي تعبر عن دهشته الشديدة .



عندما اطمأن السمور إلى انصراف الصياد ، هبط من فوق شجرته ، وأخذ يبحث عن الفأر وهو ينادي سعيداً « أيها الفأر الصديق .. أين أنت ؟ هيا تقدم حتى أقدم لك شكري على عملك الجليل ، الذي أنقذت به حياتي .. هيا نعقد معا صداقة لا تنتهي .. أين أنت ؟.. » .

أطل الفأر برأسه ، فرآه السمور ، واقترب منه قائلا « لماذا تبقى في جحرك خائفا .. ألم أعطك كلمة الأمان ، وأعرض عليك حمايتي وصداقتي .. هل تظن أنني أعتدي عليك بعد أن أنقذت حياتي ؟ » .

بقي الفأر في مكانه ، وقال للسمور « اسمع أيها السمور .. لقد قال لي أبي يوما إن الماء يظل على حاله ، فاذا وضع فوق النار ، سخن وأخذ يغلي وتصاعد منه البخار . فاذا رفع عن النار ، عاد الى أصله باردا ساكنا .. » سأل السمور متعجباً « أي ماء هذا الذي تحكي عنه ؟.. أنا لا أفهم شيئا ! » .

قال الفأر الحكيم مواصلا حديثه « هكذا صداقتنا التي تتكلم عنها ، كانت لظرف طارىء ، ونتيجة خطر مشترك يتهددنا .. أما الآن ، وقد زال الخطر . فسيعود كل شيء الى حاله . إن العداوة بين جنسينا طبع أصيل ، والحكمة تقضي أن أحذر منك ، مهما قلت من كلمات طيبة حلوة .. فاذهب الى سبيلك أيها السمور .. فلا سبيل الى صداقتنا ! » .

